



لم يكن إطلاق النار على المظاهرات الشعبية، التي انطلقت في محافظة درعا مع بداية أيام الثورة السورية أمراً جديداً على نظام تاريخه معروف في قمع معارضيه وقتلهم حتى من قبل الثورة ولا يُعرف غير ذلك، بل جديدها خطف الجرحى والشهداء من الشوارع والمشافي الحكومية.

وهو مكان من بعد إصابة محمد أبو العيون المحامي ابن الأربعة وعشرين ربيعاً، في 23 آذار/مارس 2011 من يوم أربعاء لن ينساه آل المحامي ولا أهل حوران ولا أحرار سوريا، لأن الشهيد كتب فيه سِفراً من أسفار البطولة بدمه قصيدةً لا أجمل ولا أروع لعيون الحرية والكرامة.

أصابوه برصاصهم المتواشح القاتل، خطفوه من الشارع، وظنهم أنهم قد أجهزوا عليه.

وضعوه وهو على قيد الحياة جريحاً في أحد بُرَادات الموتى في مشفى درعا الوطني ليقضي فيه ماشاء الله له أن يقضي وحيدا داخل مستطيل مظلم وبارد، ذنبه أن نادى لنصرة أهله وناسه وحربيتهم وكرامتهم، ينزف منه الدم مداراً، كتب بأصبعه فيه على حائط ثلاثة الموتى التي وضعوه فيها جملةً اختصرت فيها قصة ن湖州 مستبد قامع قاتل جزار بالوراثة، وشرحت حكاية ثورة من البداية إلى النهاية، وجعلت من قدره أسطورة مجدٍ، ومطر طهرٍ تنزل على أرض شموخٍ وإباء، فاهتزت سهول حوران ورَبَّتْ، وأنبتت آلاف الشهداء نضارةً وبهجة.

ذلك بأن الله هو الحق، وأنه جعل لكل طاغية أجلاً، وكل ظالم يوماً هو ملقيه.

فويل يومئذ للمجرمين.

وضعنوني هنا حياً...

أنا عايش هسّع،

ورح أموت بعدين...

بسْ بعْدِنِي بِدِي الحَرَّة...

أمانة سلمولي على أمي.

كتب الشهيد العهد لمن بعده بدمه، وهو دين في رقاب السوريين الأحرار جميعاً بآلا ينسوا الثورة، وألا ينسوا ماقاموا من

أجل، فمن قضى فقد قضى شهيداً، ومن بقي على الطريق فهو على العهد حتى الخلاص ونيل الحرية.

سلام على الشهيد كتب العهد بدمه سطرين، فكان معلقةً ثامنة تضاف إلى معلمات العرب.

ولئن كانت معلماتنا من لغة نثراً وشعرًا وتراثاً يتعلمها الأبناء والأحفاد، فهي في معلقة شهيدنا عزّاً ومجدًا وتضحيةً وفاءً، نتعلم منه آباء وبنين وحَدَّدة، أن للحرية والكرامة على أرض البطولات السورية، رجالاً ونساءً وشباباً وصبايا، قدموا أرواحهم على طريقها أثماناً باللغة لاستعادة حرية سباهـا المستعبدون وكرامـة سلبـها الفجـار القامـعون.

سلام على شهيدٍ لن تنساه درعاً وسلامٌ على أمّه، وسلام على شهداء حوران جمـيعـاً، سنـابـلـ قـمـحـ فيـ كلـ سـنـبـلـةـ مـئـةـ حـبـةـ، تـمـلـأـ سـهـولـهـاـ نـورـاـ لأـبطـالـ الـحرـيـةـ وـالـكـرـامـةـ وـنـيرـانـاـ حـارـقـةـ لـلـقـتـلـةـ الـمـجـرـمـينـ.

وسلام على شهدائـناـ فيـ سورـيـاـ أـجـمـعـيـنـ وـرـدـاـ جـورـيـاـ يـمـلـأـ بـعـيـقـهـ الـبـلـادـ، وـشـجـرـ زـيـتونـ يـضـيـءـ بـزـيـتـهـ، وـلوـ وـلـمـ تـمـسـسـهـ نـارـ، سـمـاـوـاتـ الـوـطـنـ، وـكـرـوـمـ عـنـبـ وـعـرـائـشـ يـاسـمـيـنـ فـيـ سـاحـاتـنـاـ وـعـلـىـ جـدـرـاتـنـاـ وـشـرـفـاتـنـاـ تـغـنـيـ لـلـوـطـنـ أـجـمـلـ الـقـصـائـدـ، وـتـسـمـعـ الـعـالـمـ أـنـاـ صـامـدـوـنـ، وـأـنـاـ باـقـوـنـ شـجـرـةـ صـبـارـ فـيـ حـلـوقـ الـقـامـعـيـنـ وـالـمـسـتـعـبـدـيـنـ تـغـيـظـ الـأـعـدـاءـ، وـمـنـ قـضـىـ مـنـاـ عـلـىـ الدـرـبـ فـهـمـ فـيـ حـوـاـصـلـ طـيـرـ خـضـرـ فـيـ أـكـنـافـ عـرـشـ الرـحـمـانـ، يـطـيـرـوـنـ فـيـ جـنـةـ عـرـضـهـاـ الـأـرـضـ وـالـسـمـاـوـاتـ.

حكـاـيـةـ مـحـمـدـ الـمـحـاـمـيـدـ اـبـنـ حـورـانـ الـأـبـيـةـ، اـخـتـصـرـتـ قـصـةـ الـثـوـرـةـ السـوـرـيـةـ مـنـ أـسـبـوـعـهـاـ الـأـوـلـ. فـكـانـتـ رـسـالـةـ بـالـدـمـ لـطـاغـيـةـ الشـامـ

أشـعـلـتـ تـلـجـ السـوـرـيـنـ نـارـاـ تـحـرـقـ عـرـشـهـ، وـأـنـتـ عـلـيـهـ مـنـ الـقـوـاعـدـ، لـيـسـجـلـ السـوـرـيـوـنـ بـدـمـ شـهـدائـهـمـ جـمـيعـاـ رـابـعـ الـمـسـتـحـيـلـاتـ.
فيـاـ أـيـهـاـ السـوـرـيـوـنـ...!!

لا تقولوا فقدنا الشهيدا *** مـذـ طـواـهـ الثـرـىـ وـحـيـداـ فـرـيدـاـ

أـنـاـ مـاـ مـتـ فـالـمـلـاـئـكـ حـوـلـيـ *** عـنـدـ رـبـيـ بـعـثـتـ خـلـقاـ جـدـيدـاـ

فـاصـنـعـوـاـ الـيـوـمـ مـنـ شـمـوـخـيـ نـشـيـداـ

رابطة العلماء السوريين

المصادر: